الأنساق الثقافية في كتاب ـ حديث الأربعاء ـ لطه حسين: النسق الإجتماعي أنموذجاً

زهراء ثابت جبار
جامعة بابل ـ كلية الآداب
zahraa.thabt@student.uobabylon.edu. iq

أ.م.د سحر كاظم حمزة
جامعة بابل ـ كلية الآداب
art.sahar.hamza@uobabylon.edu

الكلمات المفتاحية: الأنساق، النسق الإجتماعي، الأبعاد الإجتماعية، تمثلات النسق الإجتماعي، المثقف والمجتمع.

كيفية اقتباس البحث

جبار، زهراء ثابت ، سحر كاظم حمزة ، الأنساق الثقافية في كتاب ـ حديث الأربعاء ـ لطه حسين: النسق الإجتماعي أنموذجاً ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تموز ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٧ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Cultural Systems in Taha Hussein's Wednesday Talk: The Social System as a Model

Zahraa Thabet Jabbar
University of Babylon - College of Arts

Asst. Prof. Dr. Sahar Kazim Hamza
University of Babylon - College of Arts

Keywords : Systems, social system, social dimensions, representations of the social system, intellectuals and society.

How To Cite This Article
Jabbar, Zahraa Thabet, Sahar Kazim Hamza, Cultural Systems in Taha Hussein's Wednesday Talk: The Social System as a Model,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, July 2026,Volume:16,Issue 7.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract:

The social system is an active and influential element in literary and intellectual production. Cultural expression is subject to hidden social influences governed by societal traditions and norms. This makes literature a reflection of power relations and interactions within the system. A society may, at a given time, suffer from extreme dependence on inherited customs and traditions, leading to intellectual, cultural, and social stagnation. This research aims to study (cultural systems in the book - Wednesday Talk - by Taha Hussein, the social system as a model), showing how the writer confronted a conservative society and sought to break its constants and present new open visions, tracing the transformations of society towards renewal. It shows how some poets faced systemic resistance due to their renewal and opposition to the familiar, but they were able to leave a clear impact. It also highlights the role of the intellectual as an individual who is both a producer and a recipient, who interacts with societal pressure, and may resist it or reshape it. This study adopts the cultural criticism approach and is

divided into two main sections. The first explores the social dimensions in the relationship between literature and society, through an examination of Taha Hussein's perspectives on individuals and communities across different stages. The second focuses on the poet within social structures: image and position, clarifying the poet's role within his society and how these images reflected dynamics of power, rejection, and inclusion.

ملخص البحث:

يعد النسق الإجتماعي عنصراً فاعلاً ومؤثراً في الإنتاج الأدبي والفكري. حيث يخضع التعبير الثقافي لتأثيرات اجتماعية خفيةَ تحكمها تقاليد واعراف المجتمع. ما يجعل الأدب انعكاساً لعلاقات القوة والتفاعل داخل النسق، فقد يكون المجتمع في فترة ما يعاني من التبعية القصوى للعادات والتقاليد المتوارثة مما يؤدي إلى خلق جمود فكري ثقافي و اجتماعي.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة (**الأنساق الثقافية في كتاب ـ حديث الأربعاء ـ لطه حسين، النسق الاجتماعي أنموذجاً**) مُبين كيف تصدى الكاتب لمجتمع محافظ وسعى لكسر ثوابتهِ وتقديم رؤى جديدة منفتحة، متتبع تحولات المجتمع اتجاه التجديد. ويظهر كيف ان بعض الشعراء واجهوا مقاومة نسقية بسبب تجديدهم ومخالفتهم للمألوف، لكنهم تمكنوا من ترك أثر واضح. وكذلك أبرزَ دور المثقف بوصفهِ فرداً مُنتجاً ومتلقياً في آن، يتفاعل مع الضغط المجتمعي، وقد يقاومهُ او يعيد تشكيلهُ. اعتمدت في هذه الدراسة على منهج (النقد الثقافي) ، وقسمت هذا البحث إلى مبحثين رئيسيين: تناولت في الأول " الأبعاد الاجتماعية في علاقة الأدب بالمجتمع" من خلال استقراء مواقف طه حسين تجاه الأفراد والمجتمعات في مراحل مختلفة . أما الثاني فسلط الضوء على" الشاعر في ظل الأنساق الاجتماعية : صورة وموقع " موضح موقع الشاعر داخل مجتمعه، وكيف عكست هذه الصور علاقات القوة والرفض والاحتواء.

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلى آله الطيبين وصحبه المنتجبين.

يُعد النسق الاجتماعي من المفاهيم المركزية في تحليل بنية المجتمع ودراسة العلاقات التي تنشأ داخله، حيث يسلّط الضوء على القيم والتقاليد والمعايير التي تنظم سلوك الأفراد وتشكّل طريقة تفكيرهم وتفاعلهم مع الثقافة. ولا يمكن فهم النتاج الأدبي والثقافي بمعزل عن هذا النسق، لأنه يتخلل الوعي الجمعي ويؤثر في طرائق التعبير والتمثيل والمعنى.

وقد وقع الاختيار في هذا البحث **على كتاب (حديث الأربعاء) للدكتور طه حسين**، لما يتيحه من مساحة واسعة لرصد تمثلات النسق الاجتماعي، والكشف عن علاقته بالإبداع والوعي الفردي والجماعي. فالكتاب لا يقدّم مجرد قراءة أدبية لتراث الشعر العربي، بل يعيد النظر في مواقف المجتمع من الشاعر والأديب، ويعكس صراعًا بين التقليد والتجديد، وبين الانغلاق والانفتاح. ويسعى هذا البحث إلى تتبع مظاهر النسق الاجتماعي في حديث الأربعاء، وتحليل كيفيّة حضوره في المواقف والسرديات التي يعرضها طه حسين، ومدى تأثيره على الرؤية الأدبية والفكرية للتراث.

اعتمدت في هذه الدراسة على منهج (النقد الثقافي) ، لما يوفره من أدوات تتيح فهم علاقة النص بسياقه الاجتماعي، وتحليل تمثلات السلطة المجتمعية والقيم الجماعية التي تتسلل إلى اللغة والتحليل والاختيار.

وقسمت هذا البحث إلى مبحثين رئيسيين: تناولت في الأول " الأبعاد الاجتماعية في علاقة الأدب بالمجتمع" من خلال استقراء مواقف طه حسين تجاه الأفراد والمجتمعات في مراحل مختلفة.

أما الثاني فسلط الضوء على" الشاعر في ظل النسق الاجتماعي: صورة وموقع" موضح موقع الشاعر داخل مجتمعه، وكيف عكست هذه الصور علاقات القوة والرفض والاحتواء.

ويُختتم البحث بعرض لأبرز النتائج التي توصلتُ إليها، يليها توثيق للمراجع التي استُعنتُ بها خلال مراحل الكتابة والتحليل.

المبحث الأول : الأبعاد الاجتماعية في علاقة الأدب والمجتمع

يعد النسق الاجتماعي قوة تاريخية جذورها ثابتة تتحكم في بنية المجتمعات، ويتجلى ذلك إبان ميل الجمهور الطبيعي إلى استهلاك النتاجات الثقافية المنبثقة عنه، وهناك كثير من مظاهر التعبير الثقافي التي لا تمثل سوى أدوات بلاغية رمزية توظف المجاز والتورية لنقل القيم السائدة، وتتبع فاعلية هذه الوسائط من كونها تتغلغل في وعي الأفراد بشكل لا شعوري مستمدة قوتها من الإمتداد العميق للنسق الثقافي في اللاوعى الجمعي، ومن هنا تتضح العلاقة الحيوية بين الثقافة الشعبية وبين الأنساق المترسخة بما يكشف عن آلية تسرب القيم الثقافية إلى المجتمع عبر قنوات مألوفه ورمزية[1]، أي يشكل النسق الاجتماعي الإطار الذي تنتظم فيه تفاعلات الأفراد والجماعات مع منظومة القيم والأفكار السائدة، ويظهر هذا النسق على أنَّه البنية الأساسية الكاملة التي تكفل للمجتمع درجة من الثبات مع إفساح المجال أمام التكيف والتغيير.

تجلى النسق الاجتماعي في كتاب حديث الأربعاء كما يبدو لنا من خلال مسارين، الأول يعرض فيه أثر المجتمع في صدور الكتاب ونشره وما تعرض له من حض وضغط من المجتمع باتجاه إعادة جمع هذه المقالات الصادرة سابقاً في الصحف على شكل كتاب حفظاً لها من الضياع وجمعاً لها في موضع واحد وغيرها من الأسباب التي ذكرها طه حسين في مقدمة كتابه. فقد بانَ النسق الاجتماعي بوصفه سلطة فاعلة تؤثر في القرارات الأدبية والفكرية، وتوجّه المثقف والمبدع ضمن حدود ما يرضي الذوق العام أو يثير اهتمامه وفضوله في قول طه حسين ((**لم أفرغ إذن لهذه الفصول كما يفرغ المؤلف لكتاب، ولم أعن إذن بهذه الفصول كما يعني الباحث المحقق ببحث علمي وأدبي قيم، ومع هذا فقد لقيت من الناس رضا وصادفت من نفوسهم هوى، فرغبوا إليّ في أن أضم بعضها إلى بعض وأجمعها في كتاب منفرد يمكن حفظه ، وتصرف به ، على غير ما تحفظ الصحف السيارة ويتصرف بها.**)) [2]فأشارتِهِ هذه تدل بوضوح إلى أن الدافع الأساسي الذي جعلهُ يحوّل مقالاتهِ إلى كتاب تحت عنوان (حديث الأربعاء) لم يكن بدافع ذاتي بحت بل، استجابة لضغط المجتمع وتطلعاته، فقد أستخدم كلمة (الناس) في أكثر من موضع، وهذه الكلمة رغم عموميتها الظاهرة تعني بشكل ضمني جمهور المتلقين من القراء، الذين يمثلون الجماعة الثقافية والاجتماعية المتأثرة بالأدب، والمشكِّلة لاذواقه وتوجهاته. ثم بَرَزَت إشارتهِ الأخرى إلى هيمنة هذا النسق الاجتماعي في قوله ((**وأخذ الناس يلحون عليّ، وتجاوز بعضهم الإلحاح إلى اللوم،...**))[3]، أي أن هذا الجمهور لم يكتف بمجرد الرغبة أو الترقب بل، مارسَ نوعاً من الضغط واللوم عليه، معبراً بذلك عن انتقال السلطة من المبدع الفرد إلى الجماعة القارئة. وهذا الانتقال يؤكد وجود نسق اجتماعي يفرض هيمنتهُ ويطالب بحقهُ في امتلاك المعرفة المنشورة.

ثم يشير كذلك إلى خروج النصوص الابداعية(الفكرية والنقدية والأدبية) من ملكية صاحبها لتصبح حقاً اجتماعياً عاماً بعد نشرها وصدورها ((**... فأصبحت حقاً لكم فأنا أرد إليكم هذا الحق**))،[4] إذاً أصبحت النصوص بعد نشرها ملكاً للمجتمع، الذي يقرأها ويقيمها ويطالب بها وفق ذوقهِ ومعاييرهِ. وهو ما يتماشى مع مفهوم(الحق الاجتماعي في الإنتاج الثقافي)، إذ يتحول المبدع إلى وسيط لا إلى مالك حصري لما يكتب، وهذه كلها تمثلات لحاكمية وسلطة النسق الاجتماعي أقرّ بها طه حسين واشتمل عليها كتاب حديث الأربعاء، فإذا كان هذا النسق أي الاجتماعي مؤثراً في نشر وصدور هذا الكتاب ككل، فكيف لا يكون كذلك في محتواه ومضامينه؟!

وتابع طه حسين تحليله لطبيعة الصلة بين الأدب والبيئة الاجتماعية مركّزًا على أهمية تطور الحياة الفكرية الاجتماعية بما يتماشى مع تطور الفكر الإنساني ((**والحياة كلما تطورت وتحولت زادت في تغيير طبائعنا، وفي تغريبنا[...] رفقًا بالشباب فلا تفرضوا عليهم الترف فرضًا، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، ولا تأخذوهم بما تحبون أن تأخذوا به أنفسكم، فان الإغراق في نوع من أنواع التخصص خروج عمَّا أَلِفَ الناس، وما ينبغي أن يخرج الناس جميعًا عمَّا أَلِفَ الناس**))[5]، إذ يرى أنَّ الحياة في حركة دائمة وهذا التطور ينعكس على الطبائع والعادات والتقاليد، فالمجتمع ليس كيانًا ثابتًا بل يتغير باستمرار نتيجةً لتغير الظروف الاجتماعية، فهو انتقد البنية التقليدية للمجتمع التي تفرض قيودًا على الأفراد، ولاسيما الشباب ويحث على احترام حرية الفكر والتنوع في القدرات، أي هي دعوة واضحة إلى إصلاح النظام التعليمي وجعله أكثر انفتاحًا على التغيير.

وبَرَزَ في حديث طه حسين هذا نسقًا تمثَّل في فهمه لطبيعة المجتمع المعاصر واستيعابه لحاجاته وطريقة تفكيره ومطالبه الفكرية والنفسية التي قد تدفعه إلى استساغة ثقافةٍ وفكرٍ وأدبٍ أجنبي لحداثته وتماشيه مع طبيعة التطور الحاصل في حياة المجتمع والفرد وعزوفه عن غيره مما ينتمي لبيئته الأُم، وبسبب هذا الواقع سعى طه حسين في تلك المرحلة الاستكشاف سبل التحرر من حالة الجمود الفكري والثقافي ومن القيود التقليدية التي كانت تكبل حركة المجتمع، وذلك في أثناء دعوته إلى التجديد والانفتاح العقلي وإعادة النظر في التراث بمنهج نقدي عقلاني، وعبَّر عن هذا التوجه حينما قال: ((**أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرّها، حلوها ومرّها، وما يُحَبُّ منها وما يُكرَه، وما يُحمَدُ منها وما يعاب**))[6]، استنادًا إلى ذلك ناقش قضية تطور الأدب العربي وعبَّر عن رؤيته النقدية لأسباب ركوده النسبي مقارنة بآداب الأمم الأوروبية، فاستند إلى فكرة فحواها أنَّ العزلة الثقافية للمجتمع العربي وعدم الانفتاح على آداب الأمم الأُخر كانا من العوامل الرئيسة التي أدت إلى جمود الأدب العربي، فظهر النسق الاجتماعي كإطار عام يحكم تفاعل الأفراد والمؤسسات في المجتمع ويؤثر في طبيعة الإنتاج الثقافي والأدبي، فالمجتمع العربي لم يكن يتقبل الانفتاح على الثقافات الأُخر، الأمر الذي أدَّى إلى إنغلاق الأدب وثباته في قوالب تقليدية، وهذه الظاهرة كانت نتيجة التَّأثّر بالقيم والعادات المحافظة التي كانت تخشى التأثيرات الخارجية على الهوية الثقافية، وكان للقوى السياسية والدينية أثرٌ في توجيه الأدب، الأمر الذي حدَّ من حرية الأديب في اختيار موضوعاته وأسلوبه[7] وفي طرح تلك الموضوعات، وعند هذه النقطة تداخلت الأنساق الثلاث (السياسية والدينية والاجتماعية) في تشكيل مسار الثقافة والفكر، إذ

مارس النسق السياسي والديني دورهما الرقابي سواء أكان ذلك بصورة مباشرة أو من خلال توجيه الذوق العام، الأمر الذي أدى إلى اخضاع المجتمع لآليات السيطرة الرمزية، وتجلى هذا التحكم في المجال الأدبي، إذ أضحى قبول أو رفض الأعمال الأدبية مرهونًا بمدى توافقها مع التوجهات السلطوية، وبهذا إنعكس النسق الاجتماعي الذي يعتمد على التلقي الجماهيري على طبيعة الإنتاج الأدبي فصار الهدف إرضاء الجمهور لإبتكار رؤى فنية وفكرية جديدة تسهم في التجديد والتنوير.

فقد أَخضّع طه حسين الأدب العربي إلى مقايسة مع الأدب الأوروبي الذي شهد تطورًا كبيرًا بسبب انفتاحه على آداب الأُمم الآخر وإرتباطه بحركات النهضة والتطور داخل المجتمعات((**إنَّما يجب أن تضاف إلى هذه الحضارة المادية أشياء أخرى أهمها المخالطة الأدبية للشعوب الأجنبية[...] وكذلك قل إنَّ الرومان مدينون لليونان بتطور آدابهم وقل إنَّ الأمم الأوروبية مدينة بتطور آدابها لهذه الحركة التي حدثت في عصر النهضة، فاظهرت الايطاليين على آداب اليونان والرومان**))[8] أي أسهمت النهضة الفكرية والتطور العلمي والاصلاحات في تحرير الأدب من القيود التقليدية، الأمر الذي جعله أكثر تنوعًا وانفتاحًا في المقابل((قد حرم العرب هذا الاختلاط، فحرم الأدب العربي نتيجته، وهي التجديد المنتج))[9] إذًا فالنسق الاجتماعي فعل فعله في عدم تقبّل التطور والانفتاح والتجديد بفعل ما ترسب إليه من النسقين السياسي والديني، فالنسق السياسي يؤمن بأنَّ تغيير الفكر وزيادة وعي المجتمع يعني نقدًا ومواجهة للنظام السياسي لا محاله، وكذلك النسق الديني متمثلًا برجاله يرى في التغيير كسرًا لقداسة الثوابت وتاثيرًا بالآخر الغربي وانسلاخًا من التراث.

فالنشاط العقلي لطه حسين أحدث توترًا خلّاقًا داخل تراث بدا لمدَّة طويلة راكزًا في ثوابته وأصوله، وأثار قلقًا مماثلًا في العلاقة التفاعلية بين الذات العربية وإرثها الحضاري العميق، الأمر الذي ساهم في إعادة إحيائه وتجديده، وأسفر هذا التفاعل عن إيقاظ الفكر العربي ودفعه إلى أرقى مراحل تجليه ضمن هذا المخزون التراثي الواسع ليصبح مصدرًا متجددًا للإبداع والتطور[10]، أمَّا ((**الخصومة بين العلم والدين أساسية جوهرية، لأنَّ الدين يرى لنفسه الثبات والاستقرار، ولأنَّ العلم يرى لنفسه التغيير والتجديد، فلا يمكن أن يتفق إلَّا أن ينزل أحدهما عن شخصيته**))[11] وفي حقيقة الأمر أنَّ هذه الخصومة بين رجل الدين المنغلق والعلم، فالدين في جوهره دعوة لتبني العلم وتعظيم أداته الرئيسة (العقل) فالله سبحانه وتعالى تعبَّد الإنسان بالعلم والعقل بقوله تعالى:﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[المجادلة : ١١] إذًا التقدم العلمي وتطور الآراء والأفكار ليس خيارًا يمكن الاستغناء عنه،

بل هما ضرورة حتمية تفرضها طبيعة الحياة المتغيرة والمجتمعات المتقدمة التي يقوم تطورها على أسس العلم والمعرفة، غير أنَّ تحقيق هذا التطور لا يمكن في ظل القهر والقيود المفروضة على المجددين، بل يتطلب مناخًا من الحرية والانفتاح، لذا فنحن أمام خيارين لا ثالث لهما: إمَّا أن نسلك طريق العلم والتقدم مع ما يعترضه من عوائق وتحديات، وإمَّا أن نرضخ للجمود والتبعية، الأمر الذي يؤدي إلى تراجع العقول وانغلاق الفكر ويعيق أيَّ نهضة حقيقية[12]، أي أنَّ طه حسين تبنى فكرة استثمار مرونة الدين وسماحته وعدم انغلاقه وانفتاحه على العلم والفكر الحي، وهذا يجعله دافعا للحياة لا قيد، واستثمار هذه المرونة يخلق وعياً اجتماعياً يجابه التوجه المنغرس في المجتمع بفعل هيمنة السياسي والديني; وما أنبثق منه من أنساق اجتماعية تستمد هيمنتها أيضاً منها.

واعترف طه حسين بصراحة ((**أنِّي أوثر رضا العلم والضمير على رضا الناس وإعجابهم وتصفيقهم**))[13]، الأمر الذي يعكس إلتزامه بمبادئ النزاهة الفكرية والأمانة العلمية حتى لو كان ذلك على حساب شعبيته أو قبول المجتمع له، وهذا الأمر فتح لنا بابًا لمفهوم (المثقف المستقل) الذي لا يساوم على الحقيقة من أجل التصفيق أو الإعجاب، فصراع المفكر مع سلطة النسق الاجتماعي وسطوته صراع أخف وطأة من الصراع مع النسق السياسي أو الديني، ولكنَّه يحتاج إلى مفكر صبور يراهن على الزمن وأثره في تغير القناعات الاجتماعية المتجذرة واستبدالها بأُخر.

وتبعًا لما سبق أظهر طه حسين صراعًا يدور بين الحرية الفكرية والقيود الاجتماعية وما ترسب من ذلك من الضغوطات الاجتماعية التي تَفرِضُ على المثقف مسايرة الذوق العام في صراع دائم مع حرية البحث العلمي والنقد الأدبي، فالمجتمع ينقسم إلى فئات مختلفة تجاه الفكر النقدي، الأُولى الفئة الرافضة تمامًا وهي التي أغضبها بسبب نقده الصريح، والثانية الفئة المترددة التي تقبل النقد ولكن بحذر وخوفٍ أن تمس آراؤه الثوابت الثقافية الراسخة، أمَّا الثانية فهي الفئة الداعمة وهم قلة من المثقفين الذين يؤمنون بحرية الفكر والتجديد[14]، فمساعي طه حسين في نقده كانت من منظور موضوعي،إذ تجاوز الضغوط الاجتماعية والشعبية ومؤكدًا أنَّ التجديد الفكري يواجه دائما مقاومة من القوى المحافظة، فالنسق الاجتماعي بيَّن أن المقاومة الثقافية للأفكار التجديدية ليست مجرد رفض مباشر، بل هي عملية طويلة من الجدال والتفاوض بين التقليد والحداثة، الأمر الذي يجعل التغيير الثقافي بطيئًا ولكنَّه مستمر.

المبحث الثاني: الشاعر في ظل النسق الاجتماعي: صورة وموقع

تجلى لنا النسق الاجتماعي في انتقاء طه حسين لمجموعة من الشعراء من عصور مختلفة يكاد يجمع بينهم طابع الصراع والمواجهة مع مجتمعاتهم والنقمة عليها، وفي خضم معالجتهُ للشعراء في هذا المسار تسربت العديد من القضايا الثقافية التي تتعلق بالمجتمع والأدب والنقد، وهذا ما سنحاول عرضهُ ومعالجتهُ بشيء من التفصيل في هذا الجزء من المبحث. والقضية الأولى التي عالجها طه حسين تمثلت في رفض المجتمع للرؤى الفكرية التحديثية، ومقاومته لأي محاولة للخروج عن المألوف أو تقديم خطاب مختلف عن الموروث السائد، حيث قدّمَ مثالين بارزين على هذا الصراع؛ أولهما الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد، الذي عبّر عن وعي سابق لزمنه، مما عرضه للرفض والتهميش، ولهذا حاول الكاتب توضيح رؤيته التنويرية والفكرية التي تربط بين تجربة الشاعر طرفة مع مجتمعه الجاهلي وتجربته الشخصية كمفكر تنويري مع مجتمعه المصري، ((**وإيَّاك أن تظن أنَّ صاحبنا على شبابه وفراغه يلهو عبثًا، وينفق وقته في الشراب والاستمتاع بالنساء استجابة لحسنه، وطاعة لهذا الميل الفطري في اللَّذة، فإنَّك إن ظننت به هذا أخطات فهمه وأسأت إليه،[...] وقد ظن به قومه مثل هذا الظن، فأنكروا عليه إسرافه في اللَّهو، وإتلافه الطارف والتليد، فاجتنبوه وقاطعوه وتحاموه**))[15]، هنا بَرَزَت فكرة الاغتراب الفكري الذي عانى منه طرفة في مجتمعه الجاهلي، فالاغتراب الفكري حال يعيشها الشاعر أو الكاتب أو المفكر حين يشعر بالعزلة داخل مجتمعه الثقافي وحين يحاول النسق الاجتماعي الفاعل والمهيمن اقصاءهُ، لا بسبب البعد المكاني بل، نتيجة الرفض المستمر لشعره أو أفكاره ورؤاه النقدية أو الأدبية أو الفكرية حين تقابل مساهماته بالتجاهل أو الإنكار من قبل أقرانه من الشعراء أو الأدباء أو المفكرين المثقفين، يتولد لديه شعور بالانفصال عن المحيط الذي ينتمي إليه أدبيًا أو فكريًا[16]، وقد صورّ أبو حيان التوحيدي هذا الشعور بدقة حين قال: ((**أغرب الغرباء من صار غريبًا في وطنه**))[17]، فهذا تصوير عميق لحالة الفرد الذي يُقصى لا لضعف في طرحه، بل لجرأته أو لتمايزه عن السائد، وهذا الاغتراب هو أقسى ما قد يواجهه المفكر، اذ لا يقصيه عن المشاركة وحدها، بل يُقحمهُ في دائرة من الإهمال والتغييب المقصود، الأمر الذي يعرقل تأثيره وهو يكبل قدرته على التواصل مع مجتمعه، فطرفة يتمتع بفكر متمرد وفلسفة نقدية اتجاه الأعراف السائدة، الأمر الذي جعل ((**قومه لم يفهموه[...] فأنكروه**))[18]، وهذا الاغتراب يعد انعكاسا لموقف طه حسين نفسه كمفكر نقدي في مجتمعه الحديث، فقد واجه تفاعلًا مع الفكر الجديد على نوعين: إحداهما رافض له، والآخر متقبل له، وهذا التباين في استقبال الفكر التجديدي هو الذي يعكس الصراع الذي خاضه طه حسين مع مجتمعه المصري

في زمنه، إذ واجه قبولًا ورفضًا في آن واحد، وهذا الصراع بين التقليد والتجديد هو سمة أساسية في المجتمعات التي تمر بمرحلة تحول فكري وثقافي.

وأبرزَ النسق الاجتماعي سؤالًا حول دور الشاعر أو الأديب أو المفكر، وعمَّا إذا كان عليه أن يتمثل لقيم المجتمع التقليدية أو يسعى لتغييرها؟((**وإذا كان الموت ملمًّا بالفقير والغني، بالجواد والبخيل، وبالشجاع والجبان، أفليس الخير أن ياخذ المرء في هذه الحياة بلذات النفس والجسم جميعًا، فيرضى نفسه بأداء الواجب، والارتفاع عن الدنيَّات، ويرضي جسمه بالأخذ بأعظم نصيب ممكن مما يحتاج له من اللَّذة والمتاع**))[19]، ويظهر هذا أنَّ الكاتب لديه إيمان قوي وعميق بأنَّ الشاعر والأديب والمفكر يجب أن يتبع صوته ويكون هو صوت العقل والتنوير حتى لو قُوبِل بالرفض، لذا فدور المفكر في نظره يكمن في محاولة تقريب أفكاره لمجتمعه في يسر ولين على النحو الذي يفعله حين يقرِّب أشعار الجاهليين كلبيد وطرفة لصاحبه.

وثاني الشعراء الحطيئة في عصر صدر الإسلام، الذي اصطدم مجتمعه بقوة هجائهُ وسخريتهُ من الواقع الاجتماعي فكان مصيره النبذ، واستحضاره لهذه الشخصية ليس لأنَّه شاعر هجاء فقط، بل بوصفه صورة للنقاد والمفكرين الذين فرضت عليهم الظروف الاجتماعية مواقف معينة ((**فكان الحطيئة مُهاجَمًا من جميع نواحيه، مضطرًّا إلى أن يدافع عن نفسه من جميع نواحيه أيضًا**))[20]، فالحطيئة عُرِفَ بنقده اللَّاذع وهجائه الحاد، لكن لم يكن بالضرورة شريرًا بطبيعته، بل كان نتاجًا لبيئته فلم يكن هجاء الحطيئة مجرد سخرية، بل طريقة لتعرية واقع اجتماعي متهرئ، اذ استعمل ألفاظًا قاسية لتوصيل الرسالة، الأمر الذي يعبّر عن عمق السخط الذي لديه[21]، أي أنَّ طه حسين رأى أنَّ المجتمع غالبًا ما يقف موقفًا عدائيًّا من شاعر أو ناقد أو كاتب يدعو إلى التطور والتجديد، فكلَّما كان الحطيئة مرفوضًا في عصره بسبب لغته النقدية الجريئة، وليس فقط جريئة وإنَّما عرضها بطريقة حادَّة أحيانًا، تولدَ نفورًا مجتمعيًّا منه.

اذًا فالكاتب أراد إيصال فكرة أنَّ المجتمع هو الذي يحدد طبيعة النقد، فإذا كان المجتمع متشددًا منغلقًا سيجد المفكر والشاعر والأديب نفسه مضطرًا لمواجهة هذا الانغلاق باساليب حادَّة على النحو الذي فعله الحطيئة في عصره ((**لا غرابة اذًا في أن يكون الحطيئة شيئًا مخوّفًا مرهوبًا، ما دامت ظروف الحياة قد اضطرته إلى ما رأيناه من سوء الحال**))[22]، أي أنَّ الظروف الاجتماعية تصنع النقاد والمفكرين وتحدد طريقة تعبيرهم، والنقد وسيلة لمواجهة الجمود والتقاليد الجامدة، و((**ترقية الحياة الاجتماعية وتكميلها ونقلها من طور إلى طور**))[23]، لكنَّه في الوقت نفسه هو أداة خطيرة تجعل صاحبها معزولًا ومرفوضًا اجتماعيًّا، وهذا ما ينطبق على النقاد المجددين الذين يتعرضون للهجوم من قبل المجتمع المحافظ.

أما القضية الثانية، فتجلّت في تحوّل بعض الشعراء إلى موقع الدفاع والهجوم معًا، حيث اتخذوا من الإبداع الشعري وسيلة للرد على المجتمع وسلطته القامعة، وهو ما مثّله طه حسين في شخصية بشار بن برد، أحد الشعراء المخضرمين بين العصرين الأموي والعباسي، فقد كان هجاؤه لاذعًا، حادًا، يحمل تمرّدًا واضحًا على المعايير الاجتماعية، مستمدًا قوته من شعوره بالرفض والتهميش، ووعيه الحادّ بذاته وبالواقع المحيط به، إذ قدم طه حسين مقاربة نقدية تجمع بين التحليل النفسي والاجتماعي، فيرى أنَّ العمى كان له تاثير مزدوج على بشار، فمن ناحية كان دافعًا للنبوغ والإبداع، ((**بل أكاد أعتقد أنَّه اتخذ من هذا المصاب وسيلة إلى الفخر والتمدح[...] فلم يكتفِ بحمد الله على العمى، بل اتخذ العمى فخرًا، وزعم أنه ذكاءه النادر، ونبوغه الفذ، إنَّما هما أثر من آثار هذه المحنة، وقال في ذلك كلامًا كثيرًا**))[24]، ومن ناحية أخرى كان سببًا في ميله للهجاء اللاذع والتذمر من الحياة((**ليس من الهين على رجل كبشار وقد منحه الله هذا كلَّه أن يحتمل آفه العمى راضيًا بها مطمئنًا إليها، وإنَّما المعقول أن يحدث ذلك في نفسه سخطًا شديدًا على الحياة والأحياء**)) [25]وقد يكون هذا السبب الذي جعل طه حسين يتحدث عن بشار بن برد، إذ أنهما اشتركا في نفس آفة العمى، وكونهما يتشابهان في الذكاء والفطنة، لكن يختلفان في طريقة التعامل مع المجتمع، فالمجتمع العباسي قد نظر لبشار نظرة سخرية وتنمُّر((**إنَّ حياة بشار تدلنا على أنَّ أهل عصره لم يكونوا أرقَّاء، ولا حريصين على الرفق وحسن الأدب، وإنَّما كانوا يسخرون من بشار ويعبثون به ويسرفون في ذلك حتى يبلغ إعْناتَهُ ويخرج به عن طوره**))[26]، وبعض الأحيان كانت نظرة خوف وتهيب من هجائه((**إنَّما كانوا يصلونه ويمنحونه الجوائز، لا إعجابًا به، ولا رحمة له، ولا عطفًا عليه، بل إشفاقًا منه لأذاه**))[27]، أمَّا العصر الحديث فقد تعرض طه حسين لانتقادات شديدة بسبب أفكاره، لكن المجتمع لم يعامله بنفس الأسلوب الذي لقيه بشار في هجائه.

وإشارة طه حسين في استعمال بشار للأسلوب العنيف (الهجاء) يعكس البيئة الاجتماعية والأدبية التي قد تتقبل الهجاء بوصفه وسيلة للرد على الخصوم، ((**فبشار كان مفطورًا على حب الهجاء، وهو الفن الذي وجد من خلاله ذاته وسمي به لينال من خصومه ويدرك به حاجاته بعد أنْ طوقته طبيعته بالعمى، فلم يكن بوسعه أن يكدَّ ويجتهد في تحصيل غايته كما كان يكدُّ ويجتهد المبصرون، من أجل ذلك تمرس بهذا الفن وتدرب عليه، فإذا به يقف على قارعة الطريق ولمَّا يبلغ عشر سنين، ويهجو الناس**))[28]، أمَّا طه حسين فقد اعتمد على النقد العلمي والموضوعي، وهذا يعكس التغيير في القيم الاجتماعية، إذ أصبح النقد يعتمد على الحجج والأفكار بدلًا من العدوانية الشخصية في بعض الأحيان.

وعليه، فإن آفة العمى يمكن أن تكون دافعًا للإبداع الفكري او الشعري المتمثل بالهجاء اعتمادًا على طريقة التعامل الشخصية معها، فبشار أحسَّ بالحزن والقهر بسبب إعاقته فرد على المجتمع بالهجاء، أمَّا طه حسين واجه إعاقته بعقلانية، فرفض الاستسلام وحول المحنة إلى دافع للتحصيل العلمي والإبداع الأدبي، فالعمى لم يلغِ شخصيته، بل شكَّلها، فكان وسيلته لاكتشاف ذاته وبنى هويته الثقافية، إذ استعمل الأَدب والعلم كوسائل لإثبات وجوده وتعويض ما فقده جسديًّا بما اكتسبه فكريًّا.[29]

أما القضية الثالثة، فتمثلت في بداية انفتاح المجتمع تدريجيًا على الأفكار الجديدة، وظهور بوادر قبول للتجديد الأدبي والفكري، وهو ما رآه طه حسين متجسدًا في تجربة أبي نواس في العصر العباسي الأول. فقد وجد هذا الشاعر مساحة نسبية من الحرية، سمحت له بتقديم رؤى غير تقليدية، اتخذت من موضوعات كُرِهت من قبل، مثل الخمر والمجون، أدوات فنية لصياغة خطاب جمالي جديد، وإن ظلّ المجتمع يتعامل معها بانتقائية حذرة، و واصل طه حسين حديثه عن الأدب والمجتمع متناولًا موقف المجتمع المصري من التراث الأدبي وقيمة التراث وقيمة الثقافة، فقد وضَّح كيف أنَّ المجتمع يعلي من شأن الإبداع الأدبي((**ولكن لأبي نؤاس شعرًا كثيرًا عجب به الناس في عصره ونحفل به نحن الآن، وهذا الشعر كثير في الخمر، وربَّما كان أحسن مثالًا له هذه القصائد الطوال التي قالها أبو نؤاس وغير أبي نؤاس في قدم الخمر وتعتيقها**))[30]، حتى لو كان يحمل معاني خمر ومجون، لكنه في الوقت نفسه رفض بعض الأفكار الجديدة التي تصطدم بالقيم الراسخة، فالمجتمع المصري ينظر إلى التراث الأدبي نظرة تقديس، الأمر الذي يجعله يرفض أيَّ محاولة لنقده أو إعادة قراءته بعيون جديدة، أي أنَّ المجتمع يعجب بالشعر لجماله و رقي أساليبه ونزعته الجمالية والخيالية في التعبير((**وقد نقرأ الشعر الذي يتناول هذه المعاني فنعجب به لأن لفظه جديد، أو لأن فيه مغالاة تدهشنا وتخالف ما ألفنا، أو لأنَّ فيه شيئًا من الإحالة والبعد عن معقول الناس**))[31]، لكنه يرفض كسر القيم الأخلاقية((**ولكن تكلف أن تتبين هذه الخمر التي تُعصر من خدود الملاح أو حدثني أتستطيع أن تشربها، أو تستطيع أن تنظر إليها دون أن تتأذى وينالك شيء من الألم غير قليل؟**))[32]، فالنسق الاجتماعي ظهر كنمط ثقافي محافظ يقوم على احترام الماضي والتشبث بقيمته حتى لو كانت بعض نصوصه تتعارض مع القيم الأخلاقية السائدة، وهذا التناقض يشير إلى أنَّ الذائقة الأدبية مستقلة جزئيًّا عن القيم الاجتماعية، لكنها تظل محكومة بسياقات المجتمع الأخلاقية، إذًا هناك علاقة معقدة تجمع بين التراث والفكر العربي المعاصر، إذ يشكل التراث حجر الأساس في صياغة إشكاليات الفكر منذ فجر النهضة إلى الوقت الحاضر، فنحن كعرب

معاصرين لا نزال نحيا في ظلال هذا التراث ونتفاعل معه بعمق، مع أنَّه يسكن في وعينا الجمعي ويوجه آليات تفكيرنا، ونعتمد على أدواته في فهم واقعنا إلى جانب الأدوات الحديثة ونستلهم منه نماذجًا لإشباع احتياجاتنا، وأنَّه لا يتكيف بالضرورة مع التحولات المتسارعة ومتطلبات العصر المتجددة، فيعكس هذا الواقع إشكالية جوهرية تتجلى في التمسك بالتراث من دون القدرة على تطويعه ليواكب الحاضر والمستقبل، الأمر الذي يستدعي مراجعة نقدية لآليات استلهامه وتوظيفه في السياق المعاصر[33]، وقد ظهرت قضية مركزية في الفكر العربي وهي كيفية التعامل مع التراث فبينما يتعامل معه البعض بوصفه نصوصًا مقدسة لا يجوز نقدها، طه حسين يرى أنَّ التراث يجب أن يكون موضوعًا للبحث والتفسير العلمي ((**أمَّا نحن فاشد من هؤلاء القدماء طمعًا وأكثر منهم تحفظًا[...] لأنَّنا لا نبتغي من الأدب والتاريخ رواية الأعاجيب والعضات، ولا إرضاء الذوق والميل الفني، وإنَّما نتخذ الأدب والتاريخ مرآة للأُمم وسبيلًا إلى فهم حياتها العقلية والشعرية**)) [34]وليس مجرد مادة للتلقين والاستظهار، أي أنَّه ميز بين نظرة المجتمع التقليدية للكتب القديمة التي تعتمد على النقل والتكرار وبين نظرة نقدية حداثوية تسعى لفهم هذه الكتب في سياقاتها التاريخية والاستفادة منها في تطوير الفكر الحديث، أي يحاول طه حسين التأكيد على فكرة أنَّ تغيير المجتمعات يستلزم تغييرًا في طرق تفكيرها، وأنَّ نتاجات مجتمع ما محكومة بأُطرها التاريخية والزمنية وإن كانت هناك ثوابت ما فهناك أيضا متغيرات تستجد بفعل الزمن وبفعل تنامي الفكر الإنساني وتدرجه في الارتقاء وإعادة النظر والتحليل والاستنتاج. وليس هذا فقط بل، تضمن النص إشارة إلى أن تغير المجتمعات بفعل الزمن يخلق موجهات اجتماعية جديدة تتحكم في الذائقة الاجتماعية للأدب بل، وفي الإنتاج الأدبي كذلك.

ولم يقف عند تحليل الكتب فقط، بل أشار إلى أنَّ هناك فجوة فكرية بين القرّاء((**ولقد يكون من الحق أنَّ كثيرًا من الشبّان والشيوخ في مصر وفي غيرها من البلاد الشرقية يستطيعون أن يقرأوا هذا الكتاب وغيره من كتب الأدب والتاريخ دون أن يستفيدوا منها فائدة قيمة، بل ربما كانت قراءة هذه الكتب بعيدة كل البعد عن أن تنفعهم أو تجدي عليهم. ذلك أنّ اختلاف العصور شديد الأثر في العقول وفي حاجاتها وفي استعدادها للفهم والدرس**))[35]، إذ يتفاعل كلٌّ منهم مع النصوص القديمة وفقًا لقدرته العقلية ومستوى وعيه الثقافي، وهذا الطرح يتقاطع مع فكرة النخب الثقافية والجماهير، إذ يكون لدى المثقفين وعيٌ نقديٌّ أعمقُ مقارنة بعموم القرّاء، وظهر هنا دور طه حسين كمثقف يهدف إلى رفع مستوى الوعي الثقافي فهو لا يريد أن تقرأ الكتب وحدها، بل يسعى إلى تعليم الناس كيفية قراءتها بشكل نقدي، الأمر الذي يعكس رؤيته لدور المثقف في إصلاح المجتمع((**فصناعة الأفكار هي في الوقت نفسه صناعة الواقع،**

والذين يسهمون في صنع الواقع هم الذين يستطيعون تغيير أفكارهم أو الذين يحسنون إدارتها وصرفها، أعني إعادة صوغها وابتكارها على أرض الحدث بالذات، فالأفكار ليست وحدها هي التي تتغير، بل تتغير أيضا أشكال العلاقة بها، وأنماط التعاطي معها. وبقدر ما تتغير طريقة التعاطي مع الفكرة تتغير العلاقة بالحقيقة، وعلى نحو يؤدي إلى إنتاج واقع جديد)) [36]لهذا النسق الاجتماعي أكثر تجذرًا وتصلّبًا ورسوخاً عند عامة المجتمع وطبقاته البسيطة؛ لانها تكون غير مؤهلة لتقبل تغيير المسلمات الاجتماعية والفكرية، وبالتالي اشتد رفضها لقبول الرؤى الجديدة في معالجات القضايا القديمة المتعارف عليها، ويتساوى مع عامة المجتمع في هذا الأمر أصحاب الفكر المنغلق المتشدد في تقبل الآخر الفكري المغاير لهم.

واستمر حديثه عن رؤيته حول العلاقة بين الأدب والمجتمع، ولاسيما في العصر العباسي واعتمد في حديثه على فكرة أنَّ الأدب يعكس البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها((**أفتظنُّ أنَّ الناس يتخذون أبا نؤاس مثالًا للَّذَّة ونعيم الحياة؟ كلا ! ليس من شكٍ في أنَّ صلة حقيقية قوية كانت تصل بين هؤلاء الشعراء وبين طبقات الناس المختلفه وتجعل هؤلاء الشعراء تراجمة صادقين لما يخطر لهذه الطبقات من خواطر وما يضطرب في نفوسها من عواطف))**[37] فشهرة الشعراء أو الكتّاب لا تأتي من فراغ، بل ترتبط بقبول المجتمع لهم أو على الأقل بعدم رفضهِ لهم، فطه حسين اعتمد على التحليل التاريخي والمقارنة، إذ عرض مثالًا من العصر العباسي وهو أبو نؤاس وتوظيفه لمجموعة من التساؤلات بوصفها أداة تحليلية لإشراك القارئ في التفكير، كسؤاله عن سبب شهرة أبي نؤاس رغم مجونه، الأمر الذي يجعل القارئ يتأمل العلاقة بين الأدب والمجتمع، أي أراد من القارئ المثقف أن يؤدي دورًا محوريًّا في الحفاظ على القيم والتقاليد من جهة، وفتح آفاق التجديد والابتكار من جهة أخرى من طريق انفتاح الفكر والقراءة الثقافية وإسهام الثقافة المضادة في تحفيز القارئ على التفكير النقدي وتبني بدائل للثقافة السائدة، وذلك يمنحه مساحة أوسع للتعبير عن آرائه وسعيه لتحقيق تطلعاته ومعتقداته، وبهذا يصبح القارئ الواعي شريكًا فاعلًا في تمكين المفكر المُجدِّد من إيصال رؤاه الأدبية وتسهيل تقبل التيارات الفكرية الجديدة داخل المجتمع . [38]

فظهر النسق الاجتماعي كإطار يحدد العلاقات والتفاعلات داخل المجتمع ويؤثر بشكل مباشر على تطور الأدب والفكر، والمجتمع في العصر العباسي كان أكثر انفتاحًا على التعبير عن الأهواء والمجون، الأمر الذي سمح لشعراء مثل أبي نؤاس بالظهور والاشتهار، فأدب العصر العباسي كان متأثرًا بالتحولات الاجتماعية وأدى ضعف الرقابة الدينية والسياسية إلى حرية أكبر في التعبير الأدبي، أمَّا بالنسبة للمجتمع المصري فلم يكن على القدر نفسه من الانفتاح؛ بسبب

تأثير السلطات الدينية والسياسية التي حدت من حرية التعبير[39]، فأنفتاح المجتمع يعني التخفيف من سلطة النسق الاجتماعي المتوارث، وبالضد منه تمامًا فإنَّ انغلاق المجتمع يعني هيمنة النسق الاجتماعي على مناحي الفكر بما فيها الأدب بالإضافة إلى أنَّه لا يتسم بالثبات التام لأنَّه يتغير بفضل الزمن على الضد من النسق السياسي والديني اللذان يتسمان بالثبات المطلق فهما يكتسبان الهيمنة من خلال الثبات ويعملان على تقوية دعائم ذلك الثبات وعدم تقويضهما.

وتحدَّث طه حسين حول رؤيته لأبي نؤاس، بوصفه شاعرًا مجددًا ((**فقد كان أبو نؤاس مجددًا في كلِّ شيء مجددًا في الشعر ومجددًا في الحياة**))[40] فهو لم يكن شاعر نظم في الخمر والمجون بل كان يحمل رؤية نقدية للمجتمع ويحاول التعبير عن صوته من خلال منهج شعري جديد ((**كان أبو نؤاس يريد أن ينهج بالشعر منهجًا جديدًا [...] كان يريد بعبارة مجملة أن يَعدِل عن أساليب القدماء في وصف الأطلال والبكاء عليها، وفي تغني الإبل والشاء إلى وصف الحياة التي يحياها الشعراء والمستمعون لهم**))[41]، فقد يكون السبب الجوهري وراء تجديد أبي نؤاس في الشعر لم يكن نزعة فنية؛ بل كان دافعًا وجوديًّا مرتبطًا بحاجة داخلية للتعبير عن الذات ومواكبة التحولات الاجتماعية والثقافية في عصره، إذ شعر أنَّ الشكلَ التقليدي للشعر لم يعد كافيًا لتحقيق استقلاليته الفكرية والشخصية، الأمر الذي دفعه إلى ابتكار أساليب شعرية تعبر عن مشاعره وتجربته الحياتية بشكل أصدق وأقرب للواقع[42]، فأبو نؤاس لم يكن فقط شاعر خمر ومجون، بل كان يقدم شعره كوسيلة للتعبير عن البيئة الاجتماعية التي عاش فيها، أي ارتبطت علاقة الإبداع الشعري بالتحولات النفسية والاجتماعية ودور الفرد في تجاوز القوالب السائدة لإيجاد صوت شعري جديد، وقد أشار طه حسين في مؤلفه إلى التشابه بين مشروعه التجديدي ومنهج أبي نؤاس في الشعر ((**كان يريد أن ينهج بالشعر منهجًا يشبه المنهج الذي نريد نحن وأصحابنا أن ننهجه بالكتابة كان يريد أن يتخذ الشعر لسانًا للحياة الحاضرة**))[43] فكلاهما سعى إلى تجاوز الأساليب القديمة والبحث عن طرق تعبير جديدة، فالكاتب لم يكن يرى في التجديد خروجًا على القيم المجتمعية أو الأخلاق، بل كان يرى فيه إعادة قراءة التراث بنظرة عقلانية ورغم دعوته التجديدية، فهو احترم القيم السائدة في المجتمع المصري لذلك تجنب ذكر بعض أبيات أبي نؤاس التي قد تعد مخالفة للأخلاق العامة ولعل فيها مهادنة للذائقة الاجتماعية أنذاك المتأثرة بقيود المنع الديني والشبهات التي تطرح حول أفكارِه وتوجهاتِه، الابيات:[44]

قوله من (الكامل) :

يـــا عاقِـــدَ الزُّنَّـــارِ فـــي الخَصَّـــرِ بحُرْمَـــــــةِ الحانَـــــــةِ والفَهْـــــــرِ

وقوله من (البسيط)

فكيف بالحجِّ لي ما دمْتُ منغمِسًا ... في بيت قوَّادةٍ أو بيت نبَّاذِ

وقوله من (البسيط)

ما شئتَ من بلدٍ تدنو منازِهُهُ ... لكِنَّ فيهِ قَبيلاتٍ وأفْخاذا

فعدم ذكر طه حسين لهذه الأبيات إنَّما يدل على وجود توازن اجتماعي بين الانفتاح على الأفكار الجديدة والإلتزام بالحدود الأخلاقية التي وضعها المجتمع أو مهادنة ورضوخ لهيمنة الأنساق الفاعلة، أي أنَّهُ عكس العلاقة الجدلية بين الإبداع الأدبي والقيم الاجتماعية، وكذلك وضحَ كيف يمكن للأدب أن يكون وسيلة للتجديد الفكري كما كان الحال معه ومع أبي نؤاس، وفي أثناء إظهار النسق الاجتماعي نجد أنَّ المجتمع يقبل التجديد بدرجات متفاوتة، إذ يكون أكثر مرونة مع الإبداع الفني ولكنَّه أكثر تحفظًا اتجاه الأفكار التي تمس القيم الأخلاقية والتقاليد الراسخة، وفي ختام حديث طه حسين عن أبي نؤاس أظهر موقفًا نقديًّا بقوله ((**نعتقد أنَّ شخصية أبي نؤاس في حقيقة الأمر، إنَّما هي شخصية شاعر هازل ماجن، تظهر الظهور كلَّه، إذ هزل أو مجن أو حاول الاستمتاع باللذات، والتغني بآثار هذه اللذات، فترى فيها خفة ونشاطًا وشيئًا يشبه النزق أو هو النزق، وترى فيها جرأة غريبة، وحرصًا قليلًا جدًا على الاحتياط، وصراحة لا تعدلها صراحة**))[45] فهو أقرَّ بقيمة أبي نؤاس الأدبية، لكنه في الوقت ذاته تحفَّظ على بعض جوانب شعره، محاولا التوفيق بين رؤيته التنويرية واحترام القيم الأخلاقية السائدة في المجتمع المصري، وفي النص كذلك اشارة إلى مقولة ((**الأسلوب هو الرجل**))[46] نفسه، فشعر ابي نؤاس انعكاس لشخصيتهِ وأسلوب حياته.

ومع عدم مخالفته للقواعد الأخلاقية العامة في المجتمع، ومحاولة إلتزامه بها إلَّا أنَّه تعرض للانتقاد والتهم بأنَّه يكيد للتراث العربي بسبب دراسته النقدية التحليلية لأبي نؤاس مع أنَّه تحفظ على نشر بعض أشعاره، أي واجه مقاومة من المجتمع عند محاولته تحليل النصوص الأدبية التي تتجاوز الأعراف الأخلاقية[47]، أي انعكس نسقًا ثقافيًّا اجتماعيًّا يرى في الأدب أنَّه جزء من الأخلاق العامة وليس فقط فن مستقل.

وبرز حس المسؤولية الأخلاقية والوعي بتفاوت القراء ومستويات تفكيرهم ومقدرتهم على التلقي الفني والجمالي المجرد عندما قال: ((**فأبو نؤاس شاعر خطر لا ننصح بقراءته إلَّا لطائفة خاصة من الناس يستطيعون أن يقرؤا ويحكموا دون أن يتأثروا أو يقلدوا**))[48]، أي أنَّه قدّم نصيحة بعدم قراءة أعمال أبي نؤاس لمن لا يستطيع الفصل بين الإبداع الأدبي والتأثير

الشخصي، والذي يبدو ممَّا تقدم أنَّ طه حسين كمفكر ومثقف تنويري في المجتمع المصري وجد نفسه مضطرًا للموازنة بين رؤيته النقدية واحترام الأعراف السائدة. وحديث طه حسين عن ابي نؤاس واثره بينَ روح التجديد في المجتمع من خلال شعره انما هو بمثابه وضع اليد على سمة من سمات النسق الاجتماعي وهي سمة المرونة والطواعية مما يجعله مؤثرا ومتأثر، فالمجتمع يفرض على الأدب وعياً ما، وفي الوقت ذاته قد يسهم الأدب في خلق وتشكيل وعي المجتمع، وهذا الجدل بين التأثير والتأثر قد لا نجد له مساحه رحبة في الأنساق السلطوية الأخرى إذ الأمر محسوم فيها لصالح التأثير على الأدب وتوجيهه.

وبهذه المعالجات، يُظهر طه حسين كيف أن النسق الاجتماعي لم يكن جامدًا أو ثابتًا، بل خضع لتحولات متدرجة، تبدأ من الرفض الكامل، إلى المواجهة، ثم إلى القبول النسبي، مؤكدًا أن العلاقة بين الإبداع والمجتمع هي علاقة جدلية، تتسم بالتوتر أحيانًا، وبالانفتاح الحذر أحيانًا أخرى، لكنها تبقى دومًا محكومة بالسياقات الثقافية والاجتماعية السائدة.

وبناءً على ذلك طه حسين حاول أنْ يقدم فكرة وصورة عن منطلقاته ومتبنياته الفكرية بنتاجه المتنوع في السياسة والأدب والنقد، وأنْ يقدم صورة عن نفسه بفلسفته الخاصة وطريقة تفكيره ورؤيته للحياة، وهذه دلالة انتقائه وتركيزه على نماذج تواجه صعوبات في مجتمعها أو إظهار جانب النبذ الاجتماعي وتحويله إلى إيجابية للشاعر في أثناء تسويغ فلسفة طرفة أو هجاء الحطيئة وبشار أو حتى مجون أبي نؤاس وخمره، فهو أشبه بمواجهة النسق الاجتماعي المهيمن والإلتفاف عليه برؤيته الخاصة، وما يجب ان نركز عليه هو المائز الكبير بين الشعر والفكر الخالص، فما يُقبَل من الشاعر يُقبَل كفن، وهذا لا ينطبق على الناقد والمفكر، أما بالنسبة إلى النسق الاجتماعي المغاير أو المضاد يحقق رِهانه بالاتكاء على العنصر الزمني في المعادلة، فبمرور الزمن تنجح الأنساق في ترسيخ نفسها وغرس كينونتها في المجتمع وهذا ما راهن عليه طه حسين.

الخاتمة:

· يظهر هذا المبحث ان النسق الاجتماعي ليس قوة قاهرة فقط، بل هو مجال للتفاوض والتغيير،

· الأدب لا ينتج بمعزل عن المجتمع، بل يتشكل ضمنَ شروطهُ، ويملك في الآن نفسهُ القدرة على خلخلتها.

· لم يكتفي طه حسين بوصف التحولات، بل ينخرط فيها كاشفاً عن لحظة الصراع بين التقاليد والانفتاح.

· يتضح ان الأبداع ليس مجرد انعكاس للواقع بل، هو قوة فاعلة في إعادة تشكيله.

التوصيات:

· ضرورة التوسع في دراسة النسق الاجتماعي في المؤلفات الأدبية والنقدية، بوصفه مفتاحاً لفهم العلاقة بين النص والمجتمع.

· توجيه الأهتمام إلى الاعمال التي تعونى بكشف الصراع بين الفرد والمجتمع، لما لها من دور في أبراز تحولات الفكر الاجتماعي.

· التشجيع على تحليل السياقات الاجتماعية التي تحيط بالنصوص الأدبية والنقدية وعدم الاكتفاء بقراءة لغوية او فنية منعزلة.

الهوامش:

١.ينظر: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي، ط٣، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، ٢٠٠٥م: ٧٩– ٨٠.

٢.حديث الأربعاء، طه حسين، ط١٧، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٨م.1/6 :

٣.م.ن.1/6:

٤.م.ن.1/7:

٥.م.ن: ١٠/١.

٦.مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٦م: ٣٩.

٧.ينظر: حديث الاربعاء،ط١٧: ٢/ ١٢.

٨.م.ن: ١٢/٢.

٩.م.ن: ١٢/٢.

١٠.ينظر: طه حسين العقل والدين، عبد الرزاق عيد، ط١، مركز الانماء الحضاري، حلب، ١٩٩٥م: ١٢٤.

١١.من بعيد، طه حسين، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢م: ١٢١.

١٢.ينظر: من بعيد، طه حسين.131:

١٣.حديث الاربعاء، ط١٧: ١/ ١٨٠.

١٤.ينظر: م.ن: ١/ ١٨١.

١٥.حديث الاربعاء، ط١٧: ١/ ٦٥.

١٦.ينظر: موسوعة الفكر الأدبي، د.نبيل راغب، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م: ١/ ٣٣.

١٧.م.ن: ١/ ٣٣.

١٨.حديث الأربعاء، ط١٧: ١/ ٦٥.

١٩.م.ن: ١/ ٦٦.

٢٠.م.ن: ١/ ١٣٤.

٢١.ينظر: الحطيئة في معيار النقد قديمًا وحديثًا، د.بان حميد الراوي، ط١، دار دجلة، عمان، ٢٠١٠م: ٢٠٧.

٢٢.حديث الأربعاء، ط١٧: ١/١٣٦.

٢٣.خصام ونقد، طه حسين، ط٩، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م: ١١٩.

٢٤.حديث الأربعاء، ط١٧: ٢/ ١٨٣.

٢٥.م.ن: ١٨٣/٢.

٢٦.م.ن: ٢/ ١٨٣.

٢٧.م.ن: ٢/ ٢٨٤.

٢٨.قضايا الفن في الشعر العباسي، محمد أحمد علي، د.ط، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٠م: ٢٤.

٢٩.ينظر: طه حسين بصيرًا، د.محمد صادق الكاشف، ط١، مكتبه الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م: ١٦٧.

٣٠.حديث الأربعاء، ط١٧: ٢/ ٨٢.

٣١.م.ن: ٢/ ٨٣.

٣٢.م.ن: ٢/٨٣.

٣٣.ينظر: طه حسين العقل والدين: ١٢٣.

٣٤.حديث الأربعاء، ط١٧: ١/١٩٢.

٣٥.م.ن: ١/ ١٩١.

٣٦.أوهام النخبة أو نقد المثقف، علي حرب، ط٤، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ٢٠٠٨م: ٦٤– ٦٥.

٣٧.حديث الأربعاء، ط١٧.2/34 :

٣٨.ينظر: علم الاجتماع مع مدخلات عربية، انتوني غدنيز، تر:د.فايز الصباغ، ط٤، المنظمة العربية للترجمة، الحمراء، بيروت– لبنان، ٢٠٠٥م: ٨٦.

٣٩.ينظر: حديث الأربعاء، ط١٧: ٢/٣٦.٣٥.

٤٠.م.ن: ٢/ ٩٤.

٤١.م.ن: ٢/٩١.

٤٢.ينظر:حركة التجديد في الشعر العباسي، د.محمد عبد العزيز الموافي، ط٤، مكتبه الشباب، القاهرة ١٩٩٢م: ٥٨– ٦٠.

٤٣.حديث الأربعاء، ط١٧: ١/٩٢.

٤٤.ديوان أبي نؤاس، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت: ٢٤٨، ٢٣٩، ٢٣٨.

٤٥. حديث الأربعاء، ط١٧: ٢/١٢٣.

٤٦.المعجم المسير في القواعد والبلاغة والإنشاء والعروض، محمد أمين ضناوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٩م.297:

٤٧.ينظر: حديث الأربعاء، ط١٧: ٢/ ١٢٣.

٤٨.حديث الأربعاء، ط١٧: ٢/ ١٢٣– ١٢٤.

المصادر والمراجع:

- أوهام النخبة أو نقد المثقف، علي حرب، ط٤، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، ٢٠٠٨م.
- حديث الأربعاء، طه حسين، ط١٥، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٨، الجزء الثالث.
- حديث الأربعاء، طه حسين، ط١٧، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٨م، الجزء الأول.
- حديث الأربعاء، طه حسين، ط١٧، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٨م، الجزء الثاني.
- حركة التجديد في الشعر العباسي، د. محمد عبد العزيز الموافي، ط٤، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٩٢م.
- الحطيئة في معيار النقد قديماً وحديثاً، د. بان حميد الراوي، ط١، دار دجلة، عمان، الأردن، ٢٠١٠م.
- خصام ونقد، طه حسين، ط٩، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- ديوان أبي نؤاس، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت.
- طه حسين بصيراً، د. محمد صادق الكاشف، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.
- طه حسين" العقل والدين "، عبد الرزاقعيد، ط١، مركز الأنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٥م.
- علم الاجتماع مع مدخلات عربية، انتوني غدينز، ترجمة: د. فايز الصباغ، ط٤، المنظمة العربية للترجمة، الحمراء، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٥م.
- قضايا الفن في الشعر العباسي، محمد أمين علي، د.ط، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٠م.

●مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٦م.
●المعجم المسير في القواعد والبلاغة والإنشاء والعروض، محمد أمين ضناوي، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٩٩٩م
●من بعيد، طه حسين، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢م.
●موسوعة الفكر الأدبي، د. نبيل راغب، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م، الجزء الأول.
●النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي، ط٣، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، ٢٠٠٥م.

Sources and References

● The Illusions of the Elite or Critique of the Intellectual, Ali Harb, 4th ed., Arab Cultural Center, Beirut, Lebanon, 2008.
● Wednesday Talk, Taha Hussein, 15th ed., Dar Al-Maaref, Cairo, 2018, Part Three.
● Wednesday Talk, Taha Hussein, 17th ed., Dar Al-Maaref, Cairo, 2018, Part One.
● Wednesday Talk, Taha Hussein, 17th ed., Dar Al-Maaref, Cairo, 2018, Part Two.
● The Renewal Movement in Abbasid Poetry, Dr. Muhammad Abd Al-Aziz Al-Mawafi, 4th ed., Al-Shabab Library, Cairo, 1992.
● Al-Hutai'ah in the Criterion of Criticism, Ancient and Modern, Dr. Ban Hamid Al-Rawi, 1st ed., Dar Dijlah, Amman, Jordan, 2010.
● Dispute and Criticism, Taha Hussein, 9th ed., Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, 1979.
● Abu Nuwas's Diwan, 1st ed., Dar Sadir, Beirut, n.d.
● Taha Hussein Basira, Dr. Muhammad Sadiq Al-Kashif, 1st ed., Al-Khanji Library, Cairo, 1987.
● Taha Hussein: Reason and Religion, Abdul Razzaq Eid, 1st ed., Center for Civilizational Development, Aleppo, 1995.
● Sociology with Arabic Inputs, Anthony Giddens, translated by Dr. Fayez Al-Sabbagh, 4th ed., Arab Organization for Translation, Al-Hamra, Beirut, Lebanon, 2005.
● Artistic Issues in Abbasid Poetry, Muhammad Amin Ali, 1st ed., General Syrian Book Organization, Damascus, 2010. The Future of Culture in Egypt, Taha Hussein, 2nd ed., Dar Al-Maaref, Cairo, 1996.
● The Evolving Dictionary of Grammar, Rhetoric, Composition, and Prosody, Muhammad Amin Danawi, 1st ed., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Lebanon, Beirut, 1999.
● From Afar, Taha Hussein, n.d., Hindawi Foundation for Education and Culture, Egypt, 2012.
● The Encyclopedia of Literary Thought, Dr. Nabil Ragheb, n.d., Egyptian General Book Authority, 1988, Part One.
● Cultural Criticism: A Reading of Arab Cultural Systems, Abdullah Al-Ghadami, 3rd ed., Arab Cultural Center, Lebanon, Beirut, 2005.